الفهم الدقيق لطبيعة القضية ، اولا ، ولخصوصياتها ، ثانياً ، ولعلاقاتها بما حولها من حيث ضيق او اتساع دائرة الحلفاء والخصوم واهداف الخصوم في سلوكهم السياسي بالنسبة لها ، ثالثا . واذا لم ندرك هذه الامور كلها نبقى محصورين في اطار تفكير ضيق . وهذا الضيق قد يؤدي الى فشل النضال بشكل نهائي ، كما انتهى الامر بالنسبة لعدد كثير من الثورات .

لا اريد ان اخوض في التفاصيل المعروفة لدى القارىء . واكتفي بالقول بأن اسرائيل لم توجد نتيجة العطف على اليهود بسبب المذابح النازية . وفكرة انشاء دولة يهودية ، مثل فكرة التحالف الغربي مع يهود العالم تجاه الشرق الاوسط ، تعود الى اوائل القرن الثامن عشر . ومعروف من الوثائق التي نشرت والاخرى التي لم تنشر مما يمكن الاطلاع عليها ، ان ايجاد دولة اسرائيل كان في اساسه هدفاً استعمارياً للسيطرة على الشرق الاوسط . ومن هنا يتوجب علينا ان نعرف ان الصراع مع اسرائيل هو ، في حقيقته وفي جوهره ، صراع مع السياسات الدولية التي أوجدت اسرائيل وما زالت ترعي مصالحها ، وخصوصاً مع سياسات العالم الغربي المعروف بالعالم الرأسمالي ، والذي قادته في فترة سابقة انكلترا وفرنسا وتقوده الان الولايات المتحدة الاميركية . وهؤلاء عندما انشأوا اسرائيل لم يفعلوا ذلك تكاية بالشعب الفلسطيني بل انشأوها في هذا الموقع بالذات ، أي في فلسطين ، تحقيقاً لرغبتهم في استمرار سيطرتهم على منطقة الشرق الاوسط لحيوية هذه المنطقة بسبب موقعها الجغرافي ولكونها صلة الوصل بين الطرق المائية العالمية .

كذلك ، وخصوصا منذ اوائل القرن العشرين بدأ النفط يظهر في المنطقة . ودخل العلم الحديث الى الآلة العسكرية وتغيرت الاستراتيجيات العسكرية في العالم بعد التعقيدات التي حصلت في وسائل القتال ، فانتقلت من : كيف ينقل الجندي الى ارض المعركة ، الى : كيف ينقل العتاد ، ثم تطورت اكثر مع التقدم العلمي وظهرت الحاجة الى كيفية تأمين ورش الصيانة ومستودعات الوقود وقطع الغيار في ساحات القتال ، وما ترتب على ذلك من نشوء فلسفة القواعد العسكرية ، التي لا تقتصر على وجود الجنود ، بل تشمل الطائرة والدبابة والوقود وقطع الغيار وورش الصيانة ومستلزمات تشغيل هذا كله .

ولكي يتحقق وجود القواعد طبقاً لهذه الفلسفة صار على القيادة الاميركية او العالم الرأسمالي ، او أية دولة في العالم ، ان تضمن صداقة الشعب بحيث يؤمن الشعب بوجود القواعد العسكرية في بلاده . واوروبا الغربية ، مثلا ، تؤمن بوجود القواعد العسكرية الاميركية في بلادها بل تطلبها وتتمسك بها . وفي هذا السياق جرى العمل لاقامة دولة كاسرائيل ، شعبها غريب عن المنطقة وينتمي في أصوله الى الحضارة الاوروبية ويعتمد في وجوده على الدعم الغربي ، لان شعباً كهذا سيرى في وجود مثل هذه القواعد العسكرية شيئاً اساسياً لضمان استمرار وجوده الى المرحلة التي تمكنه فيما بعد من تحقيق مخططاته . ولذلك كانت حماية الاستعمار العالمي لاسرائيل كفكره ثم كوجود وكاستمرار تتطور من خلال تطور سيطرته على المنطقة ، بما هي منطقة تشكل شيئاً اساسيا لاستمرار ممارسة الولايات المتحدة لدورها كقوة أولى في العالم .

ومن هنا فإن النضال لتحرير فلسطين ليس نضالا محلياً ، كنضال الثورات الاخرى ، فنضال الثورة الجزائرية ، مثلاً ، كان موجهاً ضد فرنسا فقط ، والنضال الثوري في فيتنام كان موجهاً ضد عملاء الولايات المتحدة فيها .